

théologiques en relevant les textes énonces qui indique ce la et en y déduisant des règles générales.

El -illa chez ibn -e sseyed el batalyoussi a était en plusieurs catégories consiste les branches didactiques dans la grammaire arabe qui quelque soit les circonstances de création det des buts propres a donne des importantes conclusions.

ما يمكن قوله بداية:

قبل أن نبحت عن الأصول النحوية لا بد من أن نشير إلى الخلاف القائم حول علاقة أصول النحو بالفلسفة والمنطق الأرسطي التي اعتمدها اللغويون متأثرين بالمنطق الأرسطي الذي وصل إلى العرب بفضل العلماء السريان وينفي آخرون العلاقة بقولهم: إذا كانت الحركات الإعرابية دوالا على معانيها في اللغة العربية، فإن هناك لغات لا علاقة لحركاتها الإعرابية بدلالة معانيها، وأما وجوه الإعراب على مذهب الفلاسفة اليونانيين فالرفع عند أصحاب المنطق من اليونانيين واو ناقصة وكذلك الضم وأخواته المذكورة والكسر وأخواته عندهم ياء ناقصة والفتح وأخواته عندهم ألف ناقصة، فليقارن المقارن بين هذه المصطلحات النحوية الإعرابية لدى العرب واليونان فهل عساه أن يجد مصطلحات الخليل بن أحمد تشبه مصطلحات اليونان¹ والكثير من المسائل إلا أنهما في الأساس يختلفان كل الاختلاف².

إن اعتماد العلوم اللغوية على الأدلة والأقيسة واستنباط القواعد لدليل قاطع على وجود علاقة بين النحو والمنطق

البعد التعليمي في المصنفات النحوية الأندلسية إصلاح الخل أنموذجا

أد ، محمد زهار
جامعة المسيلة
البريد الإلكتروني:

zahar034@yahoo.fr

الملخص: إن اعتماد العلوم اللغوية على الأدلة والأقيسة واستنباط القواعد لدليل قاطع على وجود علاقة بين النحو والمنطق الأرسطي نظراً لأهمية الدراسات الفلسفية في تفسير الكثير من المقولات النحوية فقد تشبع نحاة الأندلس في بداية حياتهم العلمية بالبحوث الفلسفية حيث اغترفوا في عهد مبكر الأسس العامة لهذا العلم ، وعلى الرغم من طبيعة الحياة الاجتماعية والسياسية المتدهورة إلا أن المؤرخين، سجلوا نشاط الحركة التعليمية، وازدهارها بفضل تشجيع ملوك الطوائف الذين قرّبوا النحاة، وأجزلوا لهم العطاء، ومن الأصول النحوية ذات البعد التعليمي، العلة فهي عنصر هام في عملية الاستدلال ووسيلة في دراسة الظواهر اللغوية معتمدة على الحوار كعامل أساس في ضمان التواصل بين المعلم والمتعلم ، وإذا كان الغلو والإغراق والتفنن في التعليقات شأن أغلب نحاة المشرق فإن نحاة الأندلس اكتفوا بالتعليل الذي يخدم اللغة ويحافظ على خصائصها التركيبية ويساهم في بيان أسرارها البلاغية.

Résumé

La relation entre la philosophie et la grammaire arabe un des recherche qui a était traité par les grammairiens en Andalousie depuis le (5em siècle hégire).

Cette étude traite la culture éducative et didactique dans les œuvres.

Le sujet de cette recherche et notre but est de connaitre les bases grammaticales dont les grammairiens andalouses et ibn- esseyed el batalyoussi a institue sa pensée et quelle sont les règles grammaticales qui unie les différents éléments et branches telle quel el -Ila chez les andalous qui a unie les notions grammaticales avec les études

فيه نظر صاحبه لعلوم العربية، يقول محمد عيد: "أما في القرن الرابع الهجري فقد اتخذت دراسة النحو واللغة طابعا علميا جاداً تحول التعليم إلى علم واستبدل النقل بالتأليف وظهر التخصص في دراسة اللغة والنحو بدل الجمع من كل فن بطرف".⁶ ونصادف أيضاً كتاب النكت للأعلم الشنتمري وهو شرح على كتاب سيبويه مذلاً صعابه، وميسراً مشاكله، ومحللاً مسائله تحليلًا واسعاً⁷، مع الإشارة إلى جهود أبي الحسن ابن الباذش الغرناطي 528 هـ⁸، وعلى الرغم من طبيعة الحياة الاجتماعية والسياسية المتدهورة إلا أن المؤرخين، وعلماء اللغة قد سجلوا نشاط الحركة التعليمية، وازدهارها بفضل تشجيع ملوك الطوائف الذين قربوا النحاة، وأجزلوا لهم العطاء،⁹ وتذكر كتب التراجم أن صاحب كتاب إصلاح الخلل كان عالماً باللغات والآداب، متبحراً فيها انتصب لإقراء علوم النحو، يجتمع إليه الناس وله يد في العلوم القديمة يقول عنه الضبي 599 هـ: "إمام في اللغة والآداب" 10 وأثنى عليه معاصروه كابن بشكوال فقال: كان حسن التعليم جيد التلقين 11" ويقول عنه تلميذه الفتح: "هو شيخ المعارف"، 12. وقال أيضاً: "...وتأليفه في المشروحات وغيرها صنوف"، 13. ووصفه المقري بأنه أزر علماء الأندلس بحراً، وأوسعهم نحراً، 14. وإلى جمعهم علوم الدين واللغة، والفلسفة وتضلعمهم فيها تذكر كتب التراث أنهم يجيدون قول الشعر 15. ومن ينظر في

الأرسطي³، فلا تكاد تخلو كتب التراث من مصطلحات: "الحد"، "الرسم"، "الحال" وهي مصطلحات فلسفية،⁴ ونظراً لأهمية الدراسات الفلسفية في تفسير الكثير من المقولات النحوية فقد تشبع نحاة الأندلس في بداية حياتهم العلمية بالبحوث الفلسفية حيث اغترفوا في عهد مبكر الأسس العامة لهذا العلم، فتذكر كتب التراجم مصنفات تقوم على استقرار مفصل لمختلف الآراء النحوية مرتكزة على جوانب هامة كالقوة في الإقناع والحوار والجدل والقياس والتعليل والإقناع وهي الأسس التي تقوم عليها العملية التعليمية. يقول محمد الصادق عفيفي:

"...كان الأندلسيون يحسون بنوع من التخلف عن المشاركة، ويحاولون دائماً أن يعوضوا ذلك بتأكيد تفوقهم رغم بعدهم، وسبقهم، ورغم عربيتهم من هنا نراهم يتعصبون للغة حيث يُفتنون بعلم النحو ويقتلونه درساً وتأليفاً"⁵. وقد تفرد جيل منهم اهتم بدراسة علم النحو والتأليف فيه أذكر منهم الأعلم الشنتمري 476 هـ وابن السيد البطليوسي. وأبو الحسين ابن الطراوة 528 هـ وأبو الحسن ابن الباذش 528 هـ وغيرهم ممن أضاءوا حياة الأندلس التعليمية التي لا تزال حقلًا خصباً للباحثين والمتخصصين في إحياء تراث أهل المنطقة. لهذا جاءت هذه الدراسة محاولة الكشف عن الجوانب التعليمية وأبرز جوانبها الفكرية من خلال منهج كتابه "إصلاح الخلل الواقع في كتاب الجمل"، ففيه جسد

لأن النزوع عن الجهل والخبث ممكن أن يكون وممكن ألا يكون، فليس هذا من مواضع "إذا" إنما هو من مواضع "إن" فلذلك استجيز الجزاء بها. 19

2- قد لا يذكرون صاحب العلة بل ينسبونها للنحاة على اختلاف مذاهبهم فتارة يقولون إنها ليونس بن حبيب، وتارة أخرى ينسبونها إلى أبي جعفر النحاس أو السيرافي وتارة يعممون العلة دون تحديد، والغاية منها إعمال العقل واستحضار المحفوظ الأدبي والآراء النحوية مع ما في ذلك من تشويق الباحث لمعرفة المذاهب والآراء النحوية على اختلافها. يقول مثلاً في معاملة "كان" وأخواتها "معاملة الأفعال". قال ولهذه العلة قال النحويون: إنها داخلة على مبتدأ وخبر لأن الخبر الذي يستفيدة المخاطب بعدمها هو الذي يستفيدة بوجودها لم ترد فيه "كان" أكثر من أنها جعلته في الماضي و"كان" قبل دخولها ممكن أن يكون في غيره فصار قولك: "كان زيد قائماً" يميزه قولك "زيد قائم" فيما مضى فأفادت ما يفيد الظرف، ولهذه العلة قالوا أن "قائماً" خبر "كان" والأفعال لا يخبر عنها باتفاق وإنما هو خبر على اسمها لا عنها. 20.

3- قد لا يصرحون بالعلة يقولون مثلاً موضحين دخول اللام في خبر "لكن" بقول حميد بن يحيى:
يُلُومُونِي فِي حُبِّ لَيْلَى عَوَاذِلِي وَلَكِنِّي مِنْ
حُبِّهَا لَكَمِيدُ

تراجمهم يجد نفسه أمام علماء يُحسنون عَرْضَ موضوعاتهم وأسلوبهم السهل، الخال من التعقيد مع براعة في التحليل والتعليل. 16. و يعد كتاب الجمل للزجاجي من أهم الكتب العلمية في الدرس اللساني المعاصر ولذلك فقد حظي بشهرة مدوية لدقته، ووضوح عبارته لدقائق النحو التي يحتاجها الناشئة يقول القفطي: "...هو كتاب المصريين، وأهل المغرب، وأهل الحجاز، واليمن، والشام" 17.

موقف الأندلسيين من العلة النحوية:

إن العلة عنصر هام في عملية الاستدلال والتفسير ووسيلة من أهم الوسائل في دراسة الظواهر اللغوية، ومع اختلاف المسائل وتباينها تعددت العلة و اختلفت أنواعها واتخذت صوراً عند ابن السيد نوجزها في النقاط الآتية:

1- ينسب نحاة الأندلس في الكثير الغالب العلة لسببويه وأصحابه، فيقول البطليوسي مثلاً: أما سببويه وأصحابه فلا يرون المجازاة بها أي (إذا) لا مع "ما" ولا دونها، والعلة في ذلك عندهم أن الشرط ممكن أن يكون وممكن ألا يكون و"إذا" وقتها كائن لا محالة وإنما يجازي بها عندهم في الشعر لمشاركتها حروف الشرط في أنها محتاجة إلى جواب كاحتياج الشرط الصحيح والشيطان إذا تضارعا من بعض الجهات يحمل بعضها على بعض، واحتج بقول أوس بن حجر:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْزَعْ عَنِ الْجَهْلِ
وَالْخَنَاءِ أَصَبْتَ حَلِيمًا أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلٌ 18

فالجواب أن الاسم هو الأصل والفعل والحرف فرعان عليه، لأن كل واحد منهما محتاج إليه والفروع تحتاج من البيان أكثر مما تحتاج إليه الأصول ألا ترى أن التأنيث لما كان فرعاً على التذكير احتاج إلى علامة تشعر بتأنيثه ولم يحتج التذكير إلى علامة تشعر بتذكيره وكذلك الجمع والإفراد

والتثنية والنسب وما أشبه ذلك²³

إن طرائق الحوار التعليمي الذي يركز على التواصل المتبادل بين المعلم والمتعلم في شكل أسئلة وأجوبة يدخل فيما يعرف حديثاً بـ(ديداكتيك) وهو الفن الذي يساهم في ترسيخ العلوم، وقد عمد أهل الأندلس ذلك للمساهمة في بيان طبيعة العلة، وكانت إحدى الوسائل التبليغية المقنعة²⁵.

إن غاية نحاة الأندلس تعليمية تستند على تحصيل الملكة اللغوية بكثرة الاستشهادات، وتكرار التراكيب والجمل، وهو الأسلوب العلمي الذي بات ضرورياً للمتعلمين من أجل اكتساب التمرن على تراكيب العربية وكشف أسرار أساليبها بدليل ما أورده ابن خلدون قائلاً "...ومعلموها أقرب إلى تحصيل هذه الملكة وتعليمها من سواهم لقيامهم فيها على شواهد العرب وأمثالهم والتفقه في الكثير من التراكيب في مجالس تعليمهم²⁶". و في الختام يمكننا القول : إن نحاة الأندلس قد عالجوا العلة كأصل من أصول النحو العربي بكل موضوعية وتعاملوا معها باستنباط قوانينها واستجلاء خصائصها، وإذا كان الغلو والإغراق والتفنن في التأويلات شأن أغلب نحاة المشرق، فإن

وهو جواز دخول اللام في خبر "لكن". قال ابن السيد: قد جوّزه الفراء وأصحابه واحتجوا بحجتين هما:

أ- أن "لكن" مركبة من "إن" ولكن الخفيفة وأصلها عندهم لكن- إن²¹ حيث جاز دخول "اللام" على "إن" المفردة جاز دخولها على المركبة.

ب- أن العلة التي سهلت دخول اللام في خبر "إن" موجودة في "لكن" والعلة التي أوجبت دخولها في خبر "إن" أن معنى الإبتداء والخبر باقي في الجملة لم يبطله دخول "إن" بل زاده تحقيقاً لأنها تفيد معنى القسم فجاز دخول "اللام" معها كما جاز دونها والمخبر كأنه قد أقسم مرتين على تحقيق الخبر²².

إن مصنفات نحاة الأندلس حافلة بالتعليقات النحوية جاءت كلها خدمة لتوضيح المعاني النحوية، وتبسيط المشكلات الخلافية للقارئ مع بيان مواقف النحاة من العلة، وهي بدون شك تعود بالفائدة الكبيرة للمتعلمين حيث ترسخ قواعد النحو لديهم، ويصادفنا نص لابن السيد 521هـ يحلل فيه رأي سيبويه في تعريفه الفعل والحرف دون الاسم، يقول: "...أما سيبويه فإنه حدد الفعل والحرف ولم يحدد الاسم وكأنه جعل تعريفه من حد الفعل وحد الحرف حداً له أوكأنه رأى ما في تحديده من الإشكال الذي أوجب اضطراب كلام العلماء فيه. والأشبه عندي أن يكون جعل تعريفه من الحد كالحذ له. فإن قيل : فلم خص سيبويه الاسم بذلك دون الفعل والحرف؟

و حسين يوسف ديودار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، ط1، مطبعة الحسين، القاهرة، 1994، ص91.
8-اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة نا يعتبر من حوادث الزمان، ط2، مطبعة مؤسسة الأعلي، بيروت، لبنان، 2، 332/1970.

9- الضبي: بغية المتلمس في تاريخ الأندلس، ت. إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري اللبناني 1989 2. 436/

10- السابق، وابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ت. أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر للطباعة، القاهرة، 1967، ص204.

11- حسين يوسف ديودار، المجتمع الأندلسي، ص95.

12- ابن خاقان، قلائد العقيان، ص194.

13- السابق، ص195.

14- لابن بشكوال، الصلة، 292/1، فهرسة ابن الخير، ص204

15- السيوطي، همع الهوامع وشرح جمع الجوامع، ت. محمد بدر الدين النعساني، ط1، مطبعة السعادة، مصر، 1327 هـ 243/2.

16- ألبير مطلق، الحركة اللغوية في الأندلس من الفتح حتى عصر الملوك والطوائف، ط1، المكتبة العصرية صيدا، 1967 ص122. حسن علقم، الجوانب الفلسفية في كتابات ابن السيد البطليوسي، دار البشير، الأردن، د.ت.
17- إنباه الرواة، 80/2-83.

حاجي خليفه، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، طبعة إستانبول، 1941، 602/1

18- إصلاح الخلل، ص268. واحتج ابن السيد على هذا البيت في كتابه: شرح لزوميات المعري على استعمال "إذا" بمعنى "إن" ينظر شرح المختار من لزوميات المعري ت. حامد عبد المجيد ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، 1970، ص218.

19 - إصلاح الخلل، ص52-53.

20- السابق، ص135-136. ينظر الفصل الذي خصصه عبد القاهر في القروق في الخبر في "دلائل الإعجاز، تعليق محمود شاكر، ط3، مكتبة

الخانجي، القاهرة، 1992، ص173-198

21- يرى برجسترايسر أنها مركبة من "لا" و "كُنْ". فمعنى "لا كُنْ" ليس كذا. التطور النحوي للغة العربية، 1982، ص179

22- إصلاح الخلل، ص355

نحاة الأندلس اكتفوا بالتعليل العلمي خدمة، ومحافظة على تراكيب اللغة، و خصائصها في بيان أسرارها النحوية و البلاغية.

الهوامش:

1- عبد الجليل مرتاض ، في مناهج البحث اللغوي ، ط1 ، دار القصبة للنشر ، 2003 ، ص22

2- محمد عيد، أصول النحو العربي، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1989، ص33-شوقي ضيف، المدارس النحوية ، ط5، دار المعارف القاهرة، 1983، ص294 3- مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، مهدي المخزومي، ط1، بغداد، 1955، ص40.و اللغة بين المعيارية والوصفية ط4، عالم الكتب، القاهرة، 2000، ص44-50.

4- الفارابي، الحروف، ت. محمود حسني و محمد حسن عواد ، ط1، مطبعة دار قتيبة، بيروت، لبنان، 1991، ص274.

5- محمد الصادق عفيفي، الأدب المغربي، مكتبة المدرسة، ط2 دار الكتاب اللبناني، بيروت ، 1969، ص60. وينظر، محمد زكرياء عناني، في الأدب الأندلسي، فصل الإحساس بالتنقص بإزاء المشرق، ط1، دارالمعرفة

الجامعية، الإسكندرية، 2003، ص40 وما بعدها

6- محمد عيد، أصول النحو العربي، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1989، ص33، وشوقي ضيف، المدارس النحوية ، ط3، دارالمعارف ، القاهرة، ص254

7- ابن السيد، الجامع في أخبار أبي العلاء و آثاره، ت. محمد سليم جندي، ط1، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق 1962، 770/2، وحسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط1، دار مطابع المستقبل، القاهرة، 1973، ص189. وأيضا شيوخ العصر في الأندلس، ط1، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1986، ص91.و محمد طاهر مكي، الأدب الأندلسي من منظور إسباني، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 1990. وأحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط غرناطة، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1967، ص41.ومريا خسيوس روبر، الأدب الأندلسي، ت. أشرف علي دعرور، ط1، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة، 1999، ص121. و ألبير مطلق، الحركة اللغوية في الأندلس من الفتح حتى عصر الملوك والطوائف، ط1، المكتبة العصرية صيدا، 1967 ص122.

- 23-السابق، ص 103. الكتاب، 32/1. وأبو محمد القاسم بن علي، شرح ملحّة الإعراب، ت. بركات يوسف هبود، ط1، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1997، ص46-47
- 24-السابق، ص296.
- 25-ينظر النص كاملاً، إصلاح الخلل، ص200 .
- 26- ابن خلدون، المقدمة، ص561. وينظر كذلك: 4/1361-1381. وينظر كذلك: مقدمة في النحو لـخلف الأحمر، ت. عز الدين التنوخي، ط1 مطبعة الترقّي، دمشق، سوريا، 1961، ص33، و ابن جني، المنصف، ت. إبراهيم مصطفى، ط1، مطبعة البايع الحلبي، القاهرة، 1373هـ، 4/1.